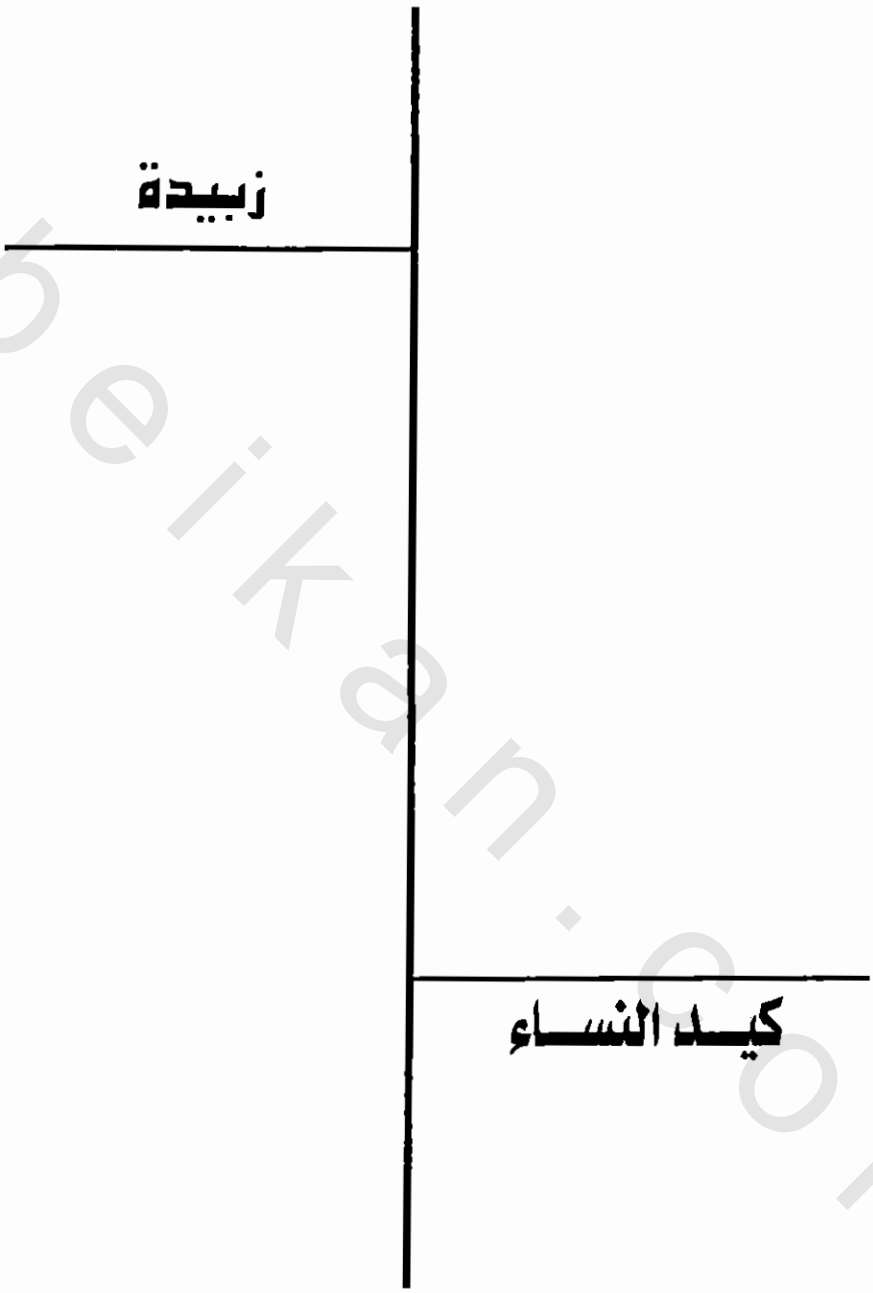

obeikan.com

obeikan.com

زبيدة

زوجة هارون الرشيد

ابنة عم هارون الرشيد وزوجته التي لم يُر مثل عرسها في الإسلام، فخلاف ما أنفق وما وُزع من مال في هذا العرس من بيت مال الخاصة، أنفق هارون الرشيد من ماله خمسين مليون درهم.

اسمها أمة العزيز، ولقبت بزبيدة لأن جدها أبو جعفر المنصور كان يرقصها وهي صغيرة ويقول لها يا زبيدة لبضاضتها ونضارتها، وكانت تتصف بالجمال والحشمة والفصاحة والعقل والتدبير وتتدخل في أمور الدولة، وتسيطر عليها من وراء حجاب، وكانت ذات مال كثير.

كانت زبيدة امرأة تدفعها غيرتها إلى فعل المستحيل ورغم حبها الشديد للرشيد، كانت لا تحمل منه وكان الرشيد يريد أن ينجب منها فأشار عليه بعض نصحائه أنه لن يتحقق له ذلك إلا إذا أثار غيرتها تأسيا بحمل سارة زوجة الخليل إبراهيم بعد أن تزوج من هاجر وبالفعل غارت زبيدة فحملت بمحمد الأمين.

بلغ يحيى بن خالد البرمكى وزير الرشيد بمنزلة الأبوة التي كانت له على الرشيد مبلغا ومنزلة كبيرة، فقد كان يسير كل أمور الدولة وظن أنه بذلك يملك حرية تصريف كل الأمور حتى أمور القصر وتخيل أنه في موقع يمكنه من التحكم حتى في زبيدة وذلك في التضييق عليها، فكان يغلق أبواب الحريم في الليل ويحمل المفاتيح معه إلى منزله، ودخل بهذه في المنطقة المحظورة.

فالرشيد نفسه ما كان ليفعل ذلك، بل على العكس كان الرشيد إذا وقع بينه وبين زبيدة خلاف بادر هو بالاعتذار لها ومصالحتها فكيف يفعل يحيى بن خالد ذلك بها.

كانت الوصاية التي يفرضها يحيى على القصر هي السيف التي قضى به يحيى بن خالد على نفسه وعلى البرامكة ، ليس هذا فقط ، بل إن يحيى تخيل من خلال موقعه واحترام الرشيد له أنه من الممكن أن يسير دفة الأمور بعد الرشيد وذلك بأخذ البيعة للمأمون وبالتالى استبعاد زبيدة وابنها الأمين ليتخلص من قوة شخصيتها وتأثيرها على أمور الدولة ، فاستخدمت زبيدة أسلحتها وأوغرت قلب الرشيد عليه وعلى البرامكة ولما سعى جعفر بن يحيى مساندا لأبيه في أخذ البيعة للمأمون واشتد المرض بهارون الرشيد .

غضبت زبيدة غضبًا شديدا وعاتبت الرشيد في ذلك ودفع يحيى بن خالد والبرامكة ثم تحدى زبيدة بالقبض عليهم والقضاء على أكثرهم ومصادرة أموالهم وبالتالى نهاية أموالهم ، ورغم ما لها من مآثر جيدة إلا أن قوة شخصيتها وشدة حبها لابنها جعلها تخسره وتخسر الخلافة معا .

* * *